الشعر الجاهلي ، المحاضرة الثانية (زهير بن أبي سُلمى – حياته وشعره–) .

اسمه ونسبه :

هو زهير بن ربيعة بن رباح المُزني ، فأبوه من قبيلة مُزينة وكنيته أبو سُلمى، وأما أمه فهي من ذبيان وهي أخت الشاعر الجاهلي الكبير بشامة بن الغدير .

وتظهر من الأخبار والروايات أن ربيعة أبا زهير لم يعش طويلاً في عشيرة أخواله ، ويقول الرواة إن امرأته تزوجت من بعده أوس بن حجر الشاعر التميمي المشهور ، وهنا يلمع في حياة زهير اسم خاله بشامة بن الغدير ، فقد كفله هو واخوته .هذا فيما يخصُّ في الحياة الاجتماعية والأسرية لزهير بن أبي سُلمى .

عاش زهير خلال الحروب التي نشبت بين عبس وذبيان ، وهي حروب داحس والغبراء الطويلة التي طحنت القبائل العربية برحاها وجعلتها بين قتيل وأسير وجريح ومشرد وطريد . هذا فيما يخصُّ في الحياة السياسية لزهير بن أبي سُلمى .

وأما فيما يخص الحياة الدينية التي عاش فيها الشاعر الجاهلي زهير ، فلقد كانت ذبيان وغيرها من القبائل العربية آنذاك تتعبَّد في الجاهلية الاصنام والعزَّى على وجه التحديد .

وكل ما نعرفه عن حياة الشاعر زُهير في الجاهلية أنه عاش في منازل بني عبد الله بن غطفان وأخواله من بني مرة الذبيانيين ، وفي كنف خاله بشامة بن الغدير ، وكان شاعراً مجيداً كما كان سيداً شريفاً ثرياً خاله هذا وكان

ممـن فقـأ عـين بعيـر فـي الجاهليـة ، وكـان الرجـل إذا ملـك ألـف بعيـر فقـأ عـين فحلهـا ... دلالــة علــى التــرف والثـراء . وورث زهيــر عــن خالــه الشــعر والأدب والكـرم ، وتـزوج زهيـر مـن امـرأتين همـا : أم أوفـى وهـي التـي يـذكرها كثيـراً فـي شعره ، وفي مطلع معلقته الشهيرة ، في قوله :

أمـــِــن أم أوفى دِمنةٌ لم تكلـــــَّمِ بحومـــــــــــانةِ الدرّاج فالمتـــثلَّمِ

والظـاهر أن المعيشــة معهـا لـم تسـتقم لـه فطلَّقهـا بعـد أن ولـدت منـه أولاداً مـاتوا جميعـاً . وأمـا الـزوج الثانيــة التــي تزوجهـا مـن بعـد أم أوفـى فهـي كبشــة بنـت عمـار الغطفانيــة وهــي أم أولاده : كعـب وبجيـر وسـالم ، ومـات سـالم فـي حيـاة زهير ورثاه بعضاً من الشعراء .

يتحـدث زهيـر فـي شـعره عـن الحـروب التـي انتابـت القبائـل العربيـة وهـو يعـيش معهـا ولاسـيما حـرب داحـس والغبـراء مشـيداً بهـرم بـن سـنان والحـارث بـن عـوف سـيدي بنــي مــرة اللــذين حقنــا دمــاء عــبس وذبيــان بعــد أن طــال أمــد الحــرب وتحمّــلا ديــات القتلــى ويقــال أنهــا كانــت ثلاثــة آلاف بعيــر أديّاهــا فــي ثــلاث سنين .

وحيـاة زهيـر بـن أبـي سُـلمة مـن النـواحي الأدبيـة طريفـة ، فهـو مـن عائلـة أدبيـة شـعرية كلهـا تـنظم الشـعر وتبـرع فيـه فلقـد كـان أبـوه شـاعراً وكـذلك كـان خالـه بشــامة شــاعراً مجيــداً مشــهوراً وأختــاه سُــلمى والخنســاء شــاعرتين ، وورث عنــه الشـعر ابنـاه كعـب وبُجيـر واسـتمر الشـعر فـي بيتـه أجيـالاً ، فقـد كـان عُقبـة بـن كعـب شـاعراً ، وكـان العـوام بـن عُقبـة شـاعراً أيضـاً ، وكـان زوج أمـه الشـاعر الفحـل الجـاهلي الكبيـر أوس بـن حجـر مـن اشـهر الشـعراء العـرب فـي الجاهليـة. فزهيــر مــن مدرســة شــعرية مجيــدة وكبيــرة تعــرف بمدرســة عبيــد الشــعر ،

ويُعرفون بأصحاب الحوليات ، إذ كان كل شاعر من شعراء هذه المدرسة لا ينظم القصيدة إلا في حولٍ كريتٍ أي في سنة واحدة للتثقيف والتنقيح والتهذيب حتى تخرج القصيدة على أكمل وجه من الصور والألفاظ والتراكيب الشعرية ، وأتم معنى وأدق تعبير عما يرديه الشاعر من نصه الشعري ومن قصيدته وغرضها وموضوعها .

المدرسة الشعرية التي ينتمي إليها زهير وشعره :

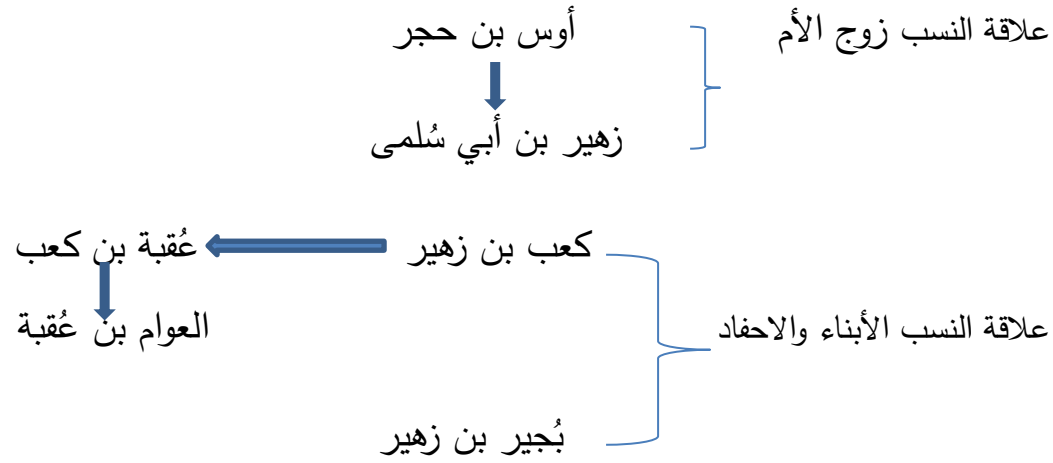

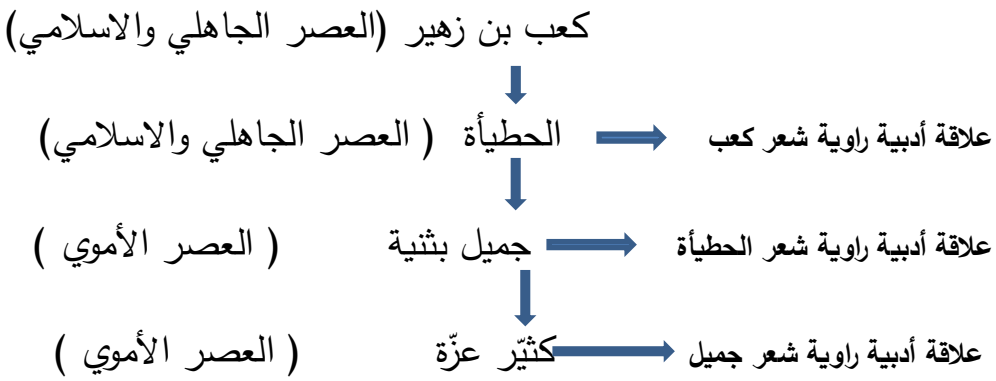

(المدرسة الأدبية تمتدُّ من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي).

زهير شاعر الحكمة :

لّقب زهير بشاعر الحكمة للأسباب الآتية :

١.حياته الطويلة .

٢. غناه وثراؤه المادي .

٣. معيشته في ظل الحروب والمعارك التي حدثت بين القبائل العربية .

معلقة زهير بن أبي سُلمى :

تقع معلقة زهير في اثنتين وستين بيتاً شعرياً بحسب رواية شارحها الزوزني في كتابه (شرح المعلقات السبع) وهي قد تزيد وتنقص بحسب الروايات الشعرية في كتب الأدب والطبقات والمختارات الشعرية وكتب التراجم . فمثلاً هي في تسعة وخمسين بيتاً شعرياً على وفق رواية التبريزي في كتابه (شرح المعلقات العشر) ، وهي في أربعة وستين بيتاً شعرياً كما جاءت في رواية الشنقيطي في كتابه (شرح المعلقات العشر وأخبار قائليها)... وهكذا . وهي تتكون من لوحات مهمة :

١.اللوحة الشعرية الأولى : **لوحة الطلل** (الأبيات من ١ إلى ٦).

٢. اللوحة الشعرية الثانية : **لوحة رحلة الظعائن** (الأبيات من ٧ إلى ١٥).

٣. اللوحة الشعرية الثالثة : **لوحة المديح** (الأبيات من ١٦ إلى ٢٤).

٤. اللوحة الشعرية الرابعة : **لوحة وصف الحرب** (الأبيات من ٢٥ إلى ٤٥).

٥. اللوحة الشعرية الخامسة : **لوحة الحكمة** (الأبيات من ٤٦ إلى ٦٢).

اللوحة الشعرية الأولى تبتدأ بذكر صاحبة الديار والبكاء على الماضي على الزمن الجميل قبل الحروب والنكبات وما حلَ بالقبائل العربية المختلفة بسبب هذه الحروب.

وفي اللوحة الشعرية الثانية يصف الشاعر زهير بن أبي سُلمى رحلة الضعائن رحلة النياق إلى الممدوحيْن (هرم بن سنان والحارث بن عوف) وهي رحلة صعبة وجميلة

وصولاً الى هذين السيدين الكبيرين خلقاً وكرماً وفعلهما البطولي الخالد في دفع ديات القوم لوقف الحرب واطفاء شعلتها التي دامت أكثر من أربعين سنة :

تبصّر خليلي هل ترى من ظعـــــائنٍ تحمّلنَّ بالعــلياءِ من فوقِ جُرثُـــــمِ

وأما اللوحة الثالثة فهي غرض المعلقة وموضوعها الرئيس وهو المدح لهذين الكريمين وما فعلا وما أجمل ما فعلا :

سَعى سَاعيا غيـــظ بنِ مرَّةَ بعدَما ما تبزّلَ ما بينَ العشـــيرةِ بالـــــــدمِ

وفي لوحة الحرب يصف الشاعر زهير هذه الحرب بأنها كريه وسيئة النتائج وهي كالرحى الدائرة التي تحطن كل شيء امامها ، ومن اللوحة قوله :

وما الحـــــــــربُ إلا ما علمتُمُ وذقتُمُ وما هُو عنها بالحَديثِ المرّجـــــمِ

وفي اللوحة الاخيرة من المعلقة وهي أدق الأبيات الشعرية فيها يلجأ الشاعر زهير إلى الحكمة والاتعاظ من تحارب الزمان وهو مَن عمّر طويلاً وإلى بذل المعروف والعمل الصالح في أبيات من أجمل ما قيل في النصح والارشاد والحكمة في الشعر العربي :

سئـــــمتُ تكاليفَ الحياةِ وَمن يـــــعـشْ

ثمانيـــــنَ حـــــــــــــولاً لا أبا لكَ يسأمِ

ومن يجـــعلْ المعروفَ من دونِ عرضـــــهِ

يفرْهُ ومَن لا يتـــــقِ الشَّـــــــتمَ يُشـــــــــتَمِ

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبـــــخلْ بفضـــــــلِهِ

علـــــــى قومِهِ يســـــــــتغنَ عنـــــــه ويـــــــذممِ

المصادر العلمية للمحاضرة :

- **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي** : د. شوقي ضيف .
- **تاريخ الأدب العربي** : عمر فروخ (ج١).
- **تاريخ الأدب الجاهلي** : د. غازي طليمات ، عرفان الاشقر .
- **ديوان زهير بن أبي سُلمى الغطفاني** ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة .
- **زهير شاعر أهل الجاهلية** : د. جميل سلطان .
- **زهير بن أبي سُلمى** : د. إحسان النص .
- **زهير بن أبي سُلمى (شاعر السلم في الجاهلية)**: د. عبد الحميد سند الجندي.
- **شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين** : د. محمود عبد الله الجادر .
- **شرح المعلقات السبع** : الزوزني .
- **شرح المعلقات العشر وأخبار قائليها** : الشنقيطي .
- **الشعراء الجاهليون الأوائل** : د. عادل الفريحات .
- **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي** : محمد هاشم عطية .
- **نصوص من الشعر العربي قبل الاسلام (دراسة وتحليل)**: د. نوري حمودي القيسي ، د.محمود عبد الله الجادر ، د. بهجت عبد الغفور الحديثي.